الكفاية وهو أثر جاهلي »[1] . وقد عرضنا لموضوع القرآن فيما سبق ، أما اذا كانت هناك مؤلفات نثرية — ومع افتراض أنها فقدت — أكان من العسير على الراوة أن يتناقلوا أسماءها ويذكروا خبراً عن عنوان واحد منها ؟ فالرواة لم يفتهم أن يحفظوا الأشعار والأخبار والقصص والأسجاع وأيام العرب وأسواقهم وأنسابهم وكثيراً مما يتصل بتاريخهم ، ولم يفتهم أن ينقلوا شيئاً من سير الشعراء والخطباء والكهان ، سواء كان صحيحاً ما نقلوه أو كان مشكوكا فيه ، فهل روى الرواة شيئاً من أخبار هذه المؤلفات النثرية ، ولا أقول نصوصاً منها إن كان النثر عسيراً حفظه ؟ ولكن ليس من العسير أن يذكروا موضوعا من موضوعات هذه المؤلفات أو يعرضوا لفكرة من أفكارها عرضاً عابرا مما لا يحتاج إلى كتابة أو تدوين ، ذلك أن عصر التدوين وإن كان قد تأخر كما هو معروف عن الجاهلية إلا أن ذلك لم يمنع من تدوين الكثير أو القليل مما كان يحفظ وينقل بالرواية حتى عصر التدوين . ولقد ضاع الكثير من المؤلفات بعد ذلك على مر العصور الإسلامية ، ولكننا لم نعدم أن نعرف شيئاً عن بعضها أو حتى أسماء بعضها الآخر ونحن مع هذا لا نقول كما يقول من أراد معارضتهم الدكتور زكى مبارك : « لو كانت هناك مؤلفات نثرية لدونت وحفظت ونقلت إلينا كلها أو بعضها كما هو الشأن فى آثار الهند والفرس والروم »[2] لا نقول ذلك ولا نطالب بتدوين بعض هذه المؤلفات ليكون الحفظ والتدوين شرط وجودها ، وانما اكتفينا كما ترى بأبسط دليل يمكن أن يدل عليها على ألا يكون ذلك الدليل كلمة لا تحمل أكثر مما تعنيه فى آية من الآيات الكريمة أو بيت شعر من الأشعار أو خبر من الأخبار . والذى ينبغى أن نؤكد عليه أننا لا نريد بهذا أن ننفى معرفة العرب للكتابة الخطية بالرغم من شيوع الأمية ، فهذا شىء وتأليف الكتب الأدبية والمؤلفات النثرية شىء آخر .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٩ .